إن هذه التناقضات، التي يأباها الفن، يقبلها حلم اليقظة، دون صعوبة. فقد نجد الرعديد، عبر حلم اليقظة، يبيد عشرات الأبطال بأسهل الوسائل.

الجانب الثالث، هو ما أشرنا إليه في السابق، من أن الطفل يرى أن العالم الخارجي إمتداد له، كل شيء ملكه. ولهذا يصعب إقناع الطفل باحترام ملكية الآخرين.

حين تنتقل هذه الخبرة الطفولية إلى حلم يقظة البالغين، فإنها تحتفظ بجوهرها، مع إجراء التعديلات والتنازلات المناسبة. يتم التعديل طبقاً لعوامل نفسية خاصة بالبالغ، وعوامل إجتماعية أعادت تحديد ما هو مرغوب فيه، وما يجب التضحية به.

عندما نتأمّل شخصية وليد مسعود، فإننا نجد أنها نتاج حلم يقظة، يحمل في جوهره هذا الملمح الأساسي من ملامح التكوين النفسي للطفل: كل شيء له، كحق ثابت لا تجوز مناقشته، أو الإعتراض عليه. كل النساء لوليد مسعود ومن يقترب منهن ينال ما يستحق من عقاب، وسخرية، ورفض. حدث هذا لإبراهيم وطارق وهشام، وحتى كاظم، الذي تزوج جنان التامر (إحدى عشيقات وليد السابقات، التي تخلى عنها)، فإن زواجه يؤدي به إلى السقوط النهائي:

«كأن بؤسه [كاظم] لا يوصف. كان بؤساً معقّداً. رأيته في تلك اللحظات كمن يطارد حتى اللهاث الأخير، ثم يسقط وفي حلقه صيحة اليأس الأخيرة...».

ويمهر سقوطه بتعيينه مديراً عاماً، وبتخلّيه عن الكتابة «أرجو ألا يشاغب كتابي على وظيفتي الآن...». ويضيف كاظم: «ولكن علي ألا أجانب الحق. إن يكن لتعييني الجديد أية قيمة فهي إنه جاء، لأول مرة في حياتي، مؤقتاً توقيتاً جيداً».

وكان يعني بالتوقيت الجيد زواجه من جنان التامر.

«يقول له جواد: سأصارحك، لم أكن أعتقد أن بينكما أي شبه...».
فيعلن كاظم أن الحب والسعادة و«كل شيء يتوقّف على جنان».
وأول ما يخطر في ذهن جواد حسني: «ماذا كان وليد ليقول لو علم بهذا الزواج؟».

فرغم كل شيء، جنان ــ إحدى ممتلكات وليد السابقة ــ هي التي تقرّر كل شيء.

وحتى سوسن التي لم يكن لوليد علاقة مباشرة بها، منحت نفسها له، من خلال رسم صورته:

«وإذا هي صورة شخصية لوليد مسعود. كانت قد بدأتها منذ سنوات. ولم تنجزها. غير أنها بعد اختفائه عادت إليها، وببضع ضربات من ريشتها الحاذقة أوجدت صورة من أقوى ما رسمت، مستعملة، على طريقتها، أقل الألوان، فجاءت مزيجاً من تخطيط وتلوين، وفيها شيء من إسلوب أندريا مانتينا، رسام النهضة الإيطالي، الذي كان وليد مولعاً به، لما فيه من صلابة الصخر وحسّه».

أما بالنسبة للرجال، فقد فصلنا موقف وليد في موضع سابق. ولكننا نلاحظ، هنا، إن الخير والشر في الرجال، الجيد والرديء منهم، يتحدّد عِبر موقفه من وليد، وكأن وليداً آلهاً.